مجلة كلية
الدعوة الإسلامية
مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة
العدد الرابع
1987

- بين داعٍ ومبشّر
- نظرية المعرفة عند مفكري الإسلام
- الألمان والقرآن
- بعض علماء النفس يعودون إلى رشدهم
- نصوص أجنبية مترجمة

تناوُب الصّيغ في التعبيرالعربي

الاستاذ بشير زقلام

الألفاظ العربية لها وظائف متعددة تؤديها في الجملة ، وكل فرد يختار منها ما ينسابه لأداء المعنى بالصورة التي يراها ، فهي ثروة عظيمة تتسع لكل لون من ألوان المعرفة وكل نبضة من نبضات القلب ، وكل نزعة من نزعات الفكر .

وللغتنا العربية كثير من الخصائص كالإعراب ، والمجاز والتعريب وغير ذلك ، ومما يلاحظ عنها « وهو ما أردت أن أشير إليه في هذه الصفحات » التناوب بين صيغها » وسأتناول ذلك في ثلاثة جوانب، وهي : تناوب الصيغ الفعلية ، والتناوب بين المفرد والمثنى والجمع ، ثم التناوب بين الحروف .

أولاً : التناوب بين الصيغ الفعلية، وهي الماضي ، والحاضر ، والمستقبل ، وأمثلة ذلك كثيرة من كتاب الله وما جاء في كلام العرب نظمهم ونثرهم ، حتى إن بعضهم قد جرد الأفعال من الدلالة على الزمان في أغلب أحوالها ، وإنما تدل عليه بالقرائن .

يقول أبو البقاء : (كثيراً ما تجرد الأفعال عن الزمان الذي هو مدلول

الصورة بخلاف المادة ، إذ لا يجوز التجرد عن الحدث في الأفعال التامة)[1].

ويقول القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿ فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾[2] : جاء تقتلون بلفظ الاستقبال وهو بمعنى المضي لما ارتفع الأشكال بقوله « من قبل » وإذا لم يشكل فجائز أن يأتي الماضي بمعنى المستقبل والمستقبل بمعنى الماضي .

قال الحطيئة :

شهد الخليفة يوم يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

فشهد بمعنى يشهد[3].

وفي معاني القرآن يقول الفراء في حديثه عن هذا الموضوع : (وذلك عربي كثير في الكلام)[4].

وجاء في أمالي ابن الشجري : (أن العرب قد أوقعت بعض أمثلة الأفعال موقع بعض مع حصول العلم بما يقصدونه ، فأوقعوا الماضي في موضع المستقبل ، والمستقبل في موضع الماضي)[5].

وجاء في كتابه أيضاً أن أبا الفتح عثمان بن جني قال : قال لي أبو علي : سألت يوماً أبا بكر « يعني ابن السراج » عن الأفعال يقع بعضها موقع بعض فقال : (كان ينبغي للأفعال كلها ان تكون مثالاً واحداً لمعنى واحد ولكن خولف بين صيغها لاختلاف أحوال الزمان ، فإذا اقترن بالفعل ما يدل عليه من لفظ أو حال جاز وقوع بعضها موقع بعض)[6].

ومما تقدم نفهم أن الأقدمين قد انتبهوا لهذا الأمر بعد تقسيم زمن الفعل إلى ثلاثة ماض وحال وآخر مستقبل ، فوجدوا قاعدتهم قد صادفتها بعض مشكلات التطبيق عندما رأوا المضارع قد يدل على الماضي ، وكذلك الماضي قد يدل على

---

(1) كليات أبي البقاء 205:5 ط 1982/2 منشورات دار أحياء التراث العربي، دمشق.

(2) الآية 91 من سورة البقرة .

(3) تفسير القرطبي 205:5.

(4) معاني القرآن 30:2 عالم الكتب بيروت.

(5) الأمالي الشجرية 1: 304 دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

(6) المرجع السابق 304:1.

المستقبل في كثير من أساليبنا العربية وخاصة كتاب الله الذي أنزل بلسان عربي مبين .

وتثبيتاً لهذه القواعد لجأوا إلى التأويل ، فنسبوا ما جاء منها إلى الأدوات والقرائن ونحو ذلك .

ومن جهة أخرى يلاحظ أن البلاغيين يرون أن مثل هذه الأفعال الموضوعة في غير موضعها قد جاءت لنكتة بلاغية قد تكون استحضاراً لموقف أو تقريراً وتحقيقاً لأمر هام مهدداً أو متوعداً به . ويرتاحون لهذه التخريجات ، وارتاح لقولهم أيضاً بعض النحاة ومن بينهم ابن هشام حيث قال : (إنهم يعبرون عن الماضي والآتي كما يعبرون عن الشيء الحاضر قصداً لاحضاره في الذهن حتى كأنه مشاهد حال الإخبار . واستشهد على ذلك بأمثلة من القرآن كقوله تعالى :

﴿ والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً ﴾ 9 فاطر .

فقال : قصد بقوله « فتثير سحاباً » احضار تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الباهرة من إثارة السحاب)[7] .

وكذلك يقول أبو البقاء : (التعبير بالماضي عن المستقبل يعد من باب الأستعارة)[8] .

وهذه بعض النماذج التي تناوبت فيها الصيغ الفعلية :

1 ـ التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي

وذلك مثل قوله تعالى : ﴿ وإذ قال الله يا عيسى ﴾ 116 المائدة .

أي يقول :

﴿ أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ 1 النحل .

المراد « بأمر الله » يوم القيامة ، وأتى بمعنى يأتي .

﴿ ويوم ينفخ في الصور ففزع﴾ 87 النمل .

﴿ ونفخ في الصور فصعق﴾ 68 الزمر

(7) المغني 906 تحقيق د . مازن مبارك ـ محمد علي حمد الله . ط / دار الفكر الطبعة الثانية .

(8) كليات أبي البقاء 286:5 .

﴿ وبرزوا لله جميعاً﴾ 21 إبراهيم
﴿ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً ﴾ 48 الأعراف
﴿ ونادى أصحاب الجنة ﴾44 الأعراف [9].

وقال الطرماح :

وإني لآتيكم تشكر ما مضى من البر واستيجاب ما كان في غد

أوقع كان في موضع يكون[10].

2 ـ التعبير عن الماضي بلفظ المستقبل .

مثل قوله تعالى :
﴿ فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ﴾ 91 البقرة. أي لم قتلتم[11].
﴿ واتبعوا ما تَتْلُوا الشياطين على ملك سليمان ﴾ 102 البقرة أي ما تَلَتْ .
﴿ ولقد نعلم ﴾ 97 الحجر. أي علمنا.
﴿ وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم ﴾ 18 المائدة. أي فلم عذب أباءكم بالمسخ والقتل .
﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ﴾63الحج « تصبح »بمعنى « أصبحت »[12].

ومن الشعر قول زياد الأعجم :

فإذا مررت بقبره فاعقر به كوم الهجان وكل طرف سابح
وانضح جوانب قبره بدمائها فلقد يكون أخادم وذبائح

أراد فلقد كان[13].

ومن رجز رؤ به قوله :

جارية في رمضان الماضي تقطّع الحديثَ بالإيماض

---

(9) انظر البرهان 3.372 تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، منشورات دار المعرفة / بيروت لبنان.
(10) الأمالي الشجرية 304:1.
(11) تفسير القرطبي 30:2 دار إحياء التراث العربي/ بيروت لبنان الطبعة الثانية.
(12) الإتقان للسيوطي 33:2 ط/ دار الفكر بيروت لبناذ.
(13) الأمالي الشجرية 304:1.

قيل الإيماض هنا التبسم ، شبه ابتسامها بوميض البرق ، وقيل إن معنى الإيماض أنهم إذا تحدثوا فأومضت إليهم أي نظرت شغلهم حسن عينيها فقطعوا حديثهم .

وقوله : تقطع ، بمعنى قطّعت[14].

ويرى النحاة أن السين إذا دخلت على المضارع تخلصه للاستقبال ولكن أشكل عليهم قوله تعالى :

﴿ كلا سنكتب ما يقول ونمد له من العذاب مدا ﴾ 79 مريم .قال الزمخشري في كشافه : (فإن قلت : كيف قيل « سنكتب » بسين التسويف وهو كما قاله كتب من غير تأخير ، قال الله تعالى : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾[15] قلت : فيه وجهان : أحدهما سنظهر له ونعلمه أنا كتبنا قوله على طريقة قوله : إذا ما انتسبنا لم تلدني لئيمة : أي تبين وعلم بالانتساب أني لست بابن لئيمة .

والثاني أن المتوعد يقول للجاني سوف انتقم منك : يعني أنه لا يخل بالانتصار وأن تطاول به الزمان[16].

من خلال الآيات السابقة ونظم العرب تبين أن الفعل وضع للحدث والزمان وإن الحدث يشترك في الدلالة عليه جميع الأفعال لأن الفعل يدل على الحدث بمادته مثل الكاف ، والتاء ، والباء في « كتب » وفي « يكتب » فالفعلان يشتركان في الدلالة على الكتابة وضعاً .

أما الزمان فلا يدل عليه الفعل بمادته وإنما يدل عليه بصورته ، والصورة مختلفة بين الأفعال فالزمان مختلف كذلك ، ومن هنا فإن استعمال أية صورة لفعل من الأفعال في غير دلالتها الزمنية يعتبر استعمالاً للفظة في غير ما وضعت له وهو جائز مع استعمال قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقي .

فالفعل الماضي وضع للدلالة على وقوع شيء في زمن ماض ، والمضارع وضع للدلالة على توقع وقوع شيء في زمن مستقبل ،وقد يريد المتكلم الإيحاء إلى

---

(14) الشاهد 1168 بالمغني ص 906.

(15) الآية 18 من سورة ق.

(16) الكشاف للزمخشري 523/2 دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

السامع بأن ما هو متوقع الوقوع يشبه ما هو ثابت في الماضي فيعبر بالماضي بدل المستقبل مثل قوله تعالى : ﴿ أتى أمر الله﴾ 1 النحل .

وقد يعبر بالمستقبل الذي هو متوقع بدل الماضي الذي هو ثابت إشارة إلى صفة من الصفات الثابتة المحققة كقولك مثلاً لمن هو متصف بصفة ثابتة ملازمة له كالطبع فيه . محمد يقوم مبكراً . أو محمد يصلي .

أو قوله تعالى :

﴿ الذين هم يراءون ويمنعون الماعون ﴾ 7،6 الماعون فالتعبير بهذه الأفعال يبين أن هذه صفة ثابتة في الأزمان المختلفة من بينها الماضي .

القسم الثاني : التناوب بين المفرد والمثنى والجمع . وهو كثير شائع في كلام العرب ونظمهم ، وذلك إذا وجد في الكلام ما يوحي بالمراد ، ولعل العدول من صيغة إلى أخرى أوقع في نفس السامع ، فقد قال الخليل والأخفش : (هذا كلام العرب الفصيح أن تخاطب الواحد بلفظ الإثنين فتقول : ويلك ارحلاها وازجراها ، وخذاه واطلقاه للواحد)[17].

ويقول ابن رشيق في العمدة : (من ذلك أن يذكر شيئين ثم يخبر عن أحدهما دون صاحبه اتساعاً كما قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها ﴾[18] 11 الجمعة .

وفي الخصائص يقول ابن جني: (واعلم أن العرب إذا حملت على المعنى لم تكد تراجع اللفظ كقولك ! شكرت من أحسنوا إلي على فعله ، ولو قلت ! شكرت من أحسن إلي على فعلهم جاز)[19].

وفي المقتضب قال المبرد : (ولو أراد مريد في التثنية ما يريده في الجمع لجاز ذلك في الشعر لأنه كان الأصل لأن التثنية جمع وإنما معنى قولك جمع أنه ضم شيء إلى شيء)[20].

---

(17) القرطبي 16:17.

(18) العمدة لابن رشيق 279:2 تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد / دار الجيل بيروت لبنان ط/ 1972،4.

(19) الخصائص لابن جني 420:2 تحقيق محمد علي النجار دار الهدى للطباعة والنشر بيروت لبنان.

(20) المقتضب للمبرد 156:2 تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. ط/ عالم الكتب بيروت.

وإليك طائفة من الأمثلة تبادلت فيها الصيغ ووقع بعضها موقع بعض .

1 ـ التعبير بالمفرد عن المثنى :

قوله تعالى : ﴿ كي تقر عينها ولا تحزن ﴾ 40 طه
﴿ فمن ربكما يا موسى ﴾ 49 طه
﴿ فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى ﴾ 117 طه

وقال زهير بن أبي سلمى :

ودار لها بالرقمتين كأنها مراجيع وشم في نواشر معصم

يريد وداران فاجتزأ بالواحد عن الإثنين[21] .

وتقول : رأيت بعيني ، وسمعت بأذني ، وإنما كانت الرؤية بالعينين والسماع بالأذنين معاً .

كما تقول : ضربت رأس الرجلين ، وشققت بطن الحملين .

قال ابن الشجري : ولا يكادون يستعملون هذا الا في الشعر وأنشد شاهدا عليه :

كأن وجه تركيين قد غضبا مستهدفين لطعن غير تذبيب[22]

2 ـ التعبير بالمثنى عن المفرد

وذلك مثل قوله تعالى :
﴿ نسيا حوتهما ﴾ 61 الكهف .
كان النسيان من الفتى وحده[23] .
يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان ﴾ 22 الرحمن .
وإنما يخرج من الملح[24] .
﴿ القيا في جهنم ﴾ 24 ق .

---

(21) انظر شرح المعلقات للزوزني 73 دار صادر بيروت .
(22) الآمالي الشجرية 12/1 .
(23) تفسير القرطبي 12:11 .
(24) المرجع السابق .

والمراد مالك خازن النار[25].

﴿ قال قد اجيبت دعوتكما ﴾89 يونس. الخطاب لموسى وحده لأنه الداعي[26].

وقال امرؤ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقال أبو ثروان :

وإن تزجراني يا بن عفان انزجر وأن تَدعَاني أحم عرضاً ممنعا

وقول جرير :

لما مررت بالديرين أرقني صوت الدجاج وقرع بالنواقيس

أراد دير الوليد .

جاء في معاني القرآن للفراء أن العرب تقول للواحد قوما عنا ، وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه ورفقته في سفره اثنان . فجرى كلام الرجل على صاحبيه ، ومنه قولهم للواحد في الشعر خليليّ ثم يقول يا صاح[27].

ويقول الزمخشري عند قوله تعالى :

﴿ القيا في جهنم ﴾ 24ق.

(يجوز أن يكون خطاباً للواحد على وجهين : أحدهما قول المبرد أن تثنية الفاعل نزلت منزلة تثنية الفعل كأنه قيل القِ القِ للتأكيد . والثاني أن العرب أكثر ما يرافق الرجل منهم اثنان فكثر على ألسنتهم أن يقولوا خليليّ وصاحبيّ . وقفا واسعدا حتى خاطبوا الواحد خطاب الإثنين . عن الحجاج أنه كان يقول : يا حرسي اضربا عنقه)[28]

3 ـ التعبير بالمفرد عن الجمع :

قوله تعالى :

﴿ ولا تكونوا أول كافر به ﴾ 41 البقرة ولم يقل كافرين .

---

(25) البرهان 231:2.

(26) انظر الاتقان 33:2 والعمدة 279:2.

(27) انظر معاني القرآن للفراء 78:3.

(28) الكشاف 8:4 .

﴿ ثم نخرجكم طفلا ﴾ 5 الحج.
﴿ إن هؤلاء ضيفي ﴾68 الحجر.

ولم يقل ضيوفي .

وقال المتنبي :

أتـاهـم بـأوسـع مـن أرضـهـم طـوال السبيب قـصـار الـعُـشـب

قال السبيب ولم يقل « الأسبة » جعل الواحد في موضع الجمع[29] .

ونقول : هل اختصم أحد اليوم والاختصام لاثنين أو أكثر .

وقد كان الحجاج يقول في خطبته : (يا أيها الإنسان وكلكم ذلك الانسان).

4 ـ التعبير بالجمع عن المفرد :

قال تعالى : ﴿ قال رب ارجعون ﴾ 99 المؤمنون .

لم يقل ارجعني جاء على تعظيم الذكر للمخاطب[30].

﴿ وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس ﴾ 13 البقرة . يعني عبدالله بن سلام [31].

﴿ يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً ﴾ 51 المؤمنون خطاب للنبي وحده إذ لا نبي معه قبله ولا بعده .

﴿ وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ﴾ 126 النحل. الخطاب للرسول بدليل قوله : (واصبر وما صبرك) 127 النحل .

﴿ كذبت قوم نوح المرسلين ﴾ 105الشعراء، المراد نوح عليه السلام[32].

﴿ يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم ﴾ 130الأنعام، والمراد الإنس لأن الرسل لا تكون إلا من بني آدم[33].

---

(29) ديوان المتنبي 101:1 منشورات دار المعرفة / بيروت لبنان . أعيد طبعه بالأوفست 1978.
(30) القرطبي 11 :149 . والبرهان 235:2 والكشاف 42:3.
(31) البرهان 221:2.
(32) الكشاف 120:3.
(33) البرهان 237:2.

﴿ وإذ قتلتم نفساً ﴾ 72 البقرة . والقاتل واحد.

﴿ وإني مرسلة إليهم بهدية فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ 35 النمل . والرسول كان واحداً بدليل قوله تعالى : ﴿ ارجع إليهم ﴾[34]

﴿ الذين قال لهم الناس﴾173 آل عمران . المراد بهم ابن مسعود الثقفي[35].

وهذا قليل من كثير سقته من كتاب الله .

قال الفرزدق .

وإذا ذكرت أباك وأيامه اخزاك حيث تقبل الاحجار

يريد الحجر[36].

وتقول : سمعت هذا الخبر من الناس وأنت تريد واحداً. وفلان يركب الخيل ولم يركب الاّ فرساً .

5 ـ التعبير بالجمع عن المثنى

قوله تعالى :

﴿ اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ﴾123 طه ، والخطاب لآدم وحواء .

﴿ أولئك مبرءون مما يقولون ﴾ 26 النور.

يعني عائشة وصفوان[37].

﴿ هذان خصمان اختصموا ﴾ 19 الحج . ولم يقل اختصما.

﴿ وألقى الألواح ﴾ 150 الأعراف . وهما لوحان[38]

قال الشاعر :

كأن خصييه من التدلدل ظرف جراب فيه ثنتا حنظل[39]

---

(34) البرهان 7:3.

(35) البرهان 220:2.

(36) الخصائص 422:2.

(37) البرهان 238:2.

(38) العمدة 279:2.

(39) المقتضب 156:2.

وتقول : ضربت رؤوس الرجلين ، وشققت بطون الحملين . وما أحسن وجوه الرجلين .

قال ابن الشجري : (استحسنوا ذلك لما بين التثنية والجمع من التقارب من حيث كانت التثنية عدداً تركب من ضم واحد إلى اثنين)[40] .

من هنا تبين أن تبادل الصيغ بين المفرد والمثنى والجمع جائز لغرض يقصده المتكلم ويفهمه السامع لقرينة موجودة في الكلام . أما إذا انعدمت القرينة والقصد فمن الظاهر أنه لا يجوز . لأن القواعد العربية بنيت على الدقة في التعبير ، ووضع كل لفظ موضعه ليكون المتكلم والسامع على صلة وثيقة بينهما في هذه القواعد . وقد يكون قصد المتكلم اهتماماً بمفرد من بين مثنى أو جمع . أو انطلاقاً من مفرد إلى التعميم على مثنى أو جمع .

ثالثاً : تناوب الحروف :

تنوب الحروف بعضها عن بعض ، وهذا لاخلاف فيه عند الكثير من النحاة ، وقد ذكر الهروي أمثلة كثيرة لذلك[41] .

وأفرد له ابن جني في الخصائص باباً أسماه ، (استعمال الحروف بعضها مكان بعض)[42] .

ويرى أنها تنوب عن بعضها بحسب الأحوال الداعية إليه والمسوغة له ، فأما في كل موضع وعلى كل حال فلا .

ووضع ابن الشجري فصلاً في دخول حروف الخفض بعضها مكان بعض وساق كثيراً من الأمثلة[43] .

وقال أبو حيان : (حروف الجر يسد بعضها موقع بعض)[44] ويقول ابن

---

(40) الأمالي 13:1 .

(41) الأزهية في علم الحروف للهروي 291 تحقيق عبد المعين الملوحي ط/ مجمع اللغة العربية دمشق 1971 م .

(42) الخصائص 306:2 .

(43) الأمالي الشجرية 2 :267 .

(44) البحر المحيط 152:8 وانظر المقتضب 319:2 .

هشام : إن أحرف الجر لا ينوب بعضها عن بعض بمقياس كما أن أحرف الجزم وأحرف النصب كذلك عند البصريين ، وما أوهم ذلك فهو عندهم إما مؤول تأويلاً يقبله اللفظ كما قيل في :

﴿ ولأصلبنكم في جذوع النخل ﴾ 71 طه .

إن « في » ليست بمعنى « على » ولكن شبه المصلوب لتمكنه من الجذع بالحال في الشيء ، وأما على تضمين معنى فعل يتعدى بذلك الحرف كما ضمن « وأحسن » في « وقد أحسن بي » معنى لطف . وأما على شذوذ أنابة كلمة عن أخرى،وهذا الأخير هو مجمل الباب كله عند أكثر الكوفيين وبعض المتأخرين ـ ولا يجعلون ذلك شاذاً ومذهبهم أقل تعسفاً)[45] ولنسق أمثلة قليلة تناوبت فيها الحروف عند بعضهم ومن أراد المزيد فليرجع إلى الكتب الآنفة الذكر .

1 ـ تبادل حروف الجر :

تكون (في) بمعنى « على » وذلك مثل قول سويد بن أبي كاهل:

هم صلبوا العبدي في جذع نخلة فلا عطست شيبان إلا بأجدعا[46]

وبمعنى « من » كقوله تعالى :

﴿ وارزقوهم فيها ﴾ 5 النساء .

﴿ ويوم نبعث في كل أمة شهيدا ﴾89 النحل.

وبمعنى «مع» كقوله:

﴿ فخرج على قومه في زينته ﴾ 79 القصص

﴿ فادخلي في عبادي ﴾29 الفجر.

وبمعنى « إلى » نحو قوله تعالى:

﴿ فتهاجروا فيها ﴾ 97 النساء .

وقول علقمة بن عبدة :

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصرها من مشيب

---

(45) المغني 151.

(46) الأمالي الشجرية 267:2.

أي إلى الحسان[47].

وتقع « الباء » موقع « عن » كقوله تعالى : ﴿ فسئل به خبيراً ﴾59 الفرقان .

بدليل قوله تعالى : ﴿ يسئلون عن أنبائكم ﴾ 20 الأحزاب وقول عنترة :

هلا سألت الخيل يا ابنه مالك إن كنت جاهلة بما لم تعلمي

وأمثلة كثيرة غير هذه يضيق المقام عن ذكرها فارجع اليها .

2 ـ **إنابة حروف العطف :**

جاء في المغني في قوله تعالى :

﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة ﴾63 الحج،إنه قيل أن الفاء تقع تارة بمعنى « ثم » ومنه الآية السابقة،وقوله تعالى :

﴿ ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ﴾ 14 المؤمنون .

فالفاءات بمعنى « ثم » لتراخي معطوفاتها .

وقد تكون الفاء بمعنى الواو وذلك مثل قول امرىء القيس

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[48]

وتأتي « أو » بمعنى « الواو » قال أبو حيان : (وقد تجيء أو بمعنى الواو إذا عطفت مالا بد منه كقوله !

قوم إذا سمعوا الصريخ رأيتهم من بين ملجم مهره أو سافع

يريد وسافع .

وجعل من ذلك قوله تعالى :

﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى ﴾195 آل عمران .

---

(47) المرجع السابق 267:2.

(48) انظر المغني 214.

وقوله تعالى :

﴿ يا شعيب أصلوٰتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ﴾ 87 هود[49]

3 ـ تبادل الحروف الشبيهة بالفعل :

جاء في كتاب سيبويه : إن أهل المدينة يقولون « أنها » فقال الخليل هي بمنزلة قول العرب : ائت السوق أنك تشتري لنا شيئاً . أي « لعلك » وحمل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وما يشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون ﴾ 109 الأنعام، فكأنه قال : لعلها إذا جاءت لا يؤمنون[50] .

وقوله تعالى :

﴿ ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ﴾ 7 هود .

« إنك » بمعنى « علك » ويجوز أن تضمن قلت معنى ذكرت[51] .

4 ـ تبادل حروف الشرط :

قال ابن هشام في المغني: وكون «لو» بمعنى «إن» قاله كثير من النحويين في نحو قوله تعالى:

﴿ وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ﴾ 17 يوسف

﴿ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾9 الصف

﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾ 100 المائدة

ونحو : اعطوا السائل ولو جاء على فرس[52] .

وقول الأخطل غياث بن غوث :

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت باطهار

وخرج ابن هشام بنتيجة وهي أن الشرط بلو متى كان مستقبلاً محتملاً وليس

---

(49) انظر البحر المحيط لأبي حيان 144:3 مكتبة ومطابع النصر الحديثة الرياض السعودية.

(50) الكتاب 123:3 وانظر البحر المحيط 201:4.

(51) البحر المحيط 205:5.

(52) الرواية في الموطأ (باب الترغيب في الصدقة) وأبي داود (باب الزكاة) وإن جاء .

المقصود فرضه الآن أو فيما مضى فهي بمعنى « أن » ومتى كان ماضياً أو حالاً أو مستقبلاً ولكن قصد فرضه الآن أو فيما مضى فهي الامتناعية[53].

5 ـ تبادل حروف النفي :

ذكر ذلك ابن جني في الخصائص قول الشاعر :

لولا فوارس من نعم وأسرتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار

إنه شبه للضرورة « لم » بـ « لا ».

ثم قال : فقد يشبه حروف النفي بعضها ببعض وذلك لاشتراك الجميع في دلالته عليه ألا ترى إلى قول انشدته :

أجدّك لم تغتمض ليلةً فترقدها مع رُقّداها

فاستعمل « لم » في موضع الحال ، وإنما ذلك من مواضع « ما » النافية للحال . وأنشدنا أيضاً :

أجدك لن ترى بثعيلبات ولا بَيْدان ناجيةً ذَمولا

استعمل أيضاً « لن » في موضع « ما »[54]

ومما جاء في القرآن قوله تعالى :

﴿ فلا صدق ولا صلى ﴾ 31 القيامة . أي لم يصدق ولم يصل[55].

وقوله :

﴿ قال رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيرا للمجرمين ﴾17 القصص. لن بمعنى لا [56].

وقد أحصى الأستاذ عبد الخالق عضيمة الآيات التي وقع المضارع فيها بعد « لم » فوجد سبعاً منها كان المضارع فيها دالاً على الاستقبال، وأشار بأنه لم يجد

---

(53) انظر المغني 348 -349والبحر 165:2.

(54) الخصائص 388:1.

(55) القرطبي 113:9.

(56) البحر المحيط 110:7.

للمعربين ولا للمفسرين أقوالاً في هذه الآيات[57] وهي :

1 ـ ﴿ ونادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون ﴾ 46 الأعراف .

2 ـ ﴿ ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا ﴾ 47 الكهف .

3 ـ ﴿ ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ﴾ 52 الكهف .

4 ـ ﴿ ورآى المجرمون النار فظنوا أنهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ﴾ 53 الكهف .

5 ـ ﴿وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم ورأوا العذاب ﴾ 64 القصص.

6 ـ ﴿ ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء ﴾ (12-13). الروم.

7 ـ ﴿ فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان ﴾ 56 الرحمن .

وقد أورد أيضاً أفعالاً أخرى وقع فيها المضارع المجزوم بلم بعد أدوات شرط جازمة . وأدوات الشرط تفيد الاستقبال .

ولا يبعد أن تكون هذه الآيات من هذا الباب وهو تناوب حروف النفي ، وكما هو مفهوم بأن لم تقلب الفعل المضارع الى الماضي ، والماضي معلوم وثابت . فإذا أردنا تأكيد المتوقع عبرنا عنه بما هو ثابت . وقد تكون هذه الآيات كذلك ، فعبر بلم التي هي لنفي الماضي الثابت بدل « لن » التي هي لنفي المتوقع تأكيداً لهذا المتوقع .

---

(57) دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة 603:2 مطبعة السعادة القاهرة الطبعة الأولى 1973م.